لقاء قناة العراقية بالدكتور إبراهيم الجعفري
2010/11/15
(فلسفة الحج والسياسة)

المقدم: يعتقد البعض أن هناك اتفاقاً تم بين السياسيين في هذه الأجواء وقرب عيد الأضحى المبارك.. هذا الاتفاق كيف ينعكس على الواقع السياسي في ظل هذه الأجواء الروحية؟

الجعفري: عندما نتحدث عن فلسفة الحج، وعلاقته بالسياسة نكون قد وضعنا يدنا في العمق؛ لأن الأزمات التي تعصف بالعمل السياسي في كل دول العالم وبصورة خاصة في التجربة العراقية نجد أن الحج يقدّم لها حلولاً ناجعة، ويعالج المشاكل على مستوى الجذور.
من المسائل التي تتصدّع فيها التجارب السياسية هي عُقدة الذكورية والفحولية، وانقسام المجتمعات على هذا الأساس، ونجد أن الحج يقدّم لنا صورة ناصعة لدور المرأة بشكل رائع، سواء كان على مستوى الأحكام الإلزامية الواجبة أو على مستوى الأحكام الترخيصية المستحبة، ماذا يعني السعي بين الصفا والمروة، لتقلد امرأة هرولت هنا، ومشت، وأصبح ركناً من أركان الحج، ولا تستطيع أن تعتمر أو تحج ما لم تسعَ بين الصفا والمروة:
((إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ)).

في الحقيقة أنت تقلد امرأة تحركت بين الصفا والمروة، ثم عادت إلى الصفا، ثم ذهبت إلى المروة، وهكذا إلى أن انتهى بها المقام، وانبجست عيناً من ماء من تحت قدمَي طفلها إسماعيل، إذن أخذت المرأة قسطاً وافراً في الحج بالمناسك على مستوى الاستحباب لمن يريد أن يذهب إلى غار حراء، ويعيش أجواء التاريخ، وكيف انقطع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا الجو، وضاقت به مكة بما رحبت، واتسع له هذا المكان، وتصور وفاء وعناء خديجة وهي تعتلي الجبل، وتذهب إلى هذا المكان، ومع التحسينات التي حصلت في المدرج الذي يصعد به إلى الأعلى مع ذلك تحدث هنا ضحايا، فكيف كانت تصعد هذه المرأة، وهي أكبر منه سناً، وكانت تصعد إليه وفاءً؛ فيوحي إليك الحج بأنها عالجت مشكلاً أساسياً موجوداً، نحن الآن في القرن العشرين، والحادي والعشرين، وقد دخلت اليوم إلى البرلمان بالكوتا بينما نجد أن المرأة في عبادة الحج على مدى السنين تقدم لنا صفحة ناصعة لكيفية التعامل مع المرأة.

عندما ننظر إلى الجانب الطبقي نجد أن الحج يبدأ بالإحرام، وينسلخ الجميع من ملابسهم، ويظهرون بزي واحد ونداء واحد وخطاب واحد، من مختلف القوميات

والأجناس والطبقات، ويلبسون زياً يخرجون به من الدنيا، هذا يعطينا درساً رائعاً أنك عندما تقدم على الحج، وتفتتح باكورة الأعمال، وتقول: لبيك اللهم لبيك، بهذه الملابس، وتحرم عليك الأمور بإرادتك، وأنك أمام 26 محرّماً من تروك الإحرام، وتقويك أيضاً بالسياسة في الوقت الذي تكون هادئاً ومنضبطاً لا تستطيع أن تقتل حشرة، ولا تستطيع أن تقتل نملة، لكنك عندما تنتهي في منى غداً ستقدم على ذبح الهدي، وهذا تأسٍ بإبراهيم عندما همّ أن يذبح ابنه إسماعيل، إذاً حوّلك الحج إلى إنسان رحيم تعمل الإرادة والعقل في الرحمة، وليس رحمة متأتية من عقدة عدم الشجاعة.

حين تنظر إلى هذه الأمة المترامية وإذا بك مع مؤتمر عالمي سنوي يأتي الناس من مختلف مناطق العالم في القارات الخمس، فيطوفون حول البيت يجمعهم شيء واحد، هو الكعبة التي يستهدفونها من البعد، ويدورون حولها تماماً، ويطوفون عدة طوافات وأبرز هذه الطوافات هو الطواف السياسي؛ لأنهم أمة واحدة.

المقدم: هل يجوز في الفقه السياسي أن يذهب النائب إلى الحج أو أن يمارس عبادة كأن تكون زيارة إلى مرقد معيّن، ويترك واجب التشريع ناقصاً؟

الجعفري: من الصعب على الإنسان أن يطلق حكماً على كل الأشخاص فلكل واحد ظروفه، أما الحج فيوجد حج واجب، ويوجد حج مستحب، ويوجد حج مع تمكن، كما يمكن أن تكون فرصته الوحيدة، وقد لا يتسبب ذهابه بأي خلل، وهناك حج وهناك مسؤولية في الحج، ويوجد حج مكرر، وحج مستحب وغيرها من الأشكال، لكن على العموم عندما يحصل تزاحم بين هذه القضايا في الفقه، يوجد شيء اسمه التزاحم، ويوجد واجب وأوجب، ويوجد حرام، ويوجد أشد حرمة، وهذا يُترَك للمكلف.
يقول الله تعالى:
((وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً)).

والاستطاعة ليست فقط في المال إنما في البدن والصحة، والزاد والراحلة كل هذه يجب أن تتوافر بما فيها القضايا المدنية وبما فيها التزاماته، فعندما تكون أمامه التزامات معينة، ولا يستطيع أن يشرّع لنفسه، يعود إلى أصحاب الاختصاص من الفقهاء والمراجع.
أعتبر حضور 295 بادرة إيجابية، ولنفرح بالذين حضروا، ونكبر بهم، وهذا شيء نعتبره إنجازاً ليس قليلاً.

المقدم: صرّح الدكتور إياد علاوي لـ" السي أن أن" بأن الشراكة في السلطة قد انتهت، وماتت، وأن اقتسام السلطة قد انتهى.. هل سيشكل معارضة في داخل البرلمان، وهل سيُشكّل المجلس الوطني للسياسات الاستراتيجية؟

الجعفري: نحن نحتاج إلى المجلس السياسي في كل الحالات، وسنتفق على تشكيله، ولدينا شخصيات لديها تجارب، يمكن أن تضطلع بمهمة إدارته مادامت ضمن المساحة المرنة في الدستور يمكن الاستفادة منها، أما المعارضة فهي موجودة في الدول المتقدمة، وما من بلد متقدم إلا وفيه معارضة، وإن كنتُ أنا لا أحبّذها الآن.

المقدم: يتحدث كثير من الناس عن الامتيازات التي مُنِحت للنواب من رواتب ضخمة وكبيرة تفوق رواتب رؤساء أكبر الدول؟

الجعفري: أنا مع ضبط الرواتب، وإصدار قانون لها، وجعل درجات الدولة بشكل متكافئ لكل الوزارات بدءاً بالخط الأول للتصدي إلى أبنائنا وأعزائنا من العمال في مختلف مراتب الدولة، وكنا في عام 2005 قد قدمنا مشروع قانون إلى البرلمان بأن يصار إلى قانون للرواتب؛ حتى تدرج فيه كل هذه الأمور، وهذا الكلام سمعته من شخصيات متعددة في الدولة، وكذلك بعض مراجع المسلمين عبّروا ونوّهوا بهذه الحالة، وأتمنى أن يقل هذا الفرق بالشكل الذي يتناسب مع وضعه والتزاماته، وما يتطلب من أمور لكن في الوقت نفسه لا ينبغي أن يكون فرقاً فاحشاً بين راتبه وراتب بقية الموظفين الآخرين.

المقدم: أوردت بعض الصحف العالمية ومنها صحيفة الفايننشال تايمز **أن الصفقة التي أعدّها زعماء العراق هشة، وقد تكون أقرب إلى نظام المحاصصة الطائفية في لبنان، كيف تقرأ هذا التحليل؟**

الجعفري: هم يقرأون من بُعد من دون أن يأخذوا الفروق بين هذه وتلك، فليس الأمر كذلك، الآن الإرهاص الذي حدث، والمشهد الرائع لمجلس النواب الذي التأم في أول جلسة له على الرغم من الخلافات المعقدة، وبالمناسبة في أوروبا تصل الخلافات إلى الضرب بالكراسي.. هذا المشهد يملي علينا أن ننظر إلى القضية من جانبها المُضيء فكل مكونات القوائم تتنهد، وتتعاون على أن تصوت للتشريعات والقوانين التي تخدم الوطن المواطن.

المقدم: هل سيسير البرلمان بهذه الروحية؟

الجعفري: مثلما بُذِلت جهود، وأثمرت يمكن أن تـُبذل جهود، وتتواصل، ولا يكفي أن نبدأ أقوياء فلابد أن نتواصل.. لا ينبغي أن نحسن البدء، ولا نحسن الاستمرار، فنحن الآن في مرحلة تأسيس الدولة، ولم نصل إلى الدول التي مضى على ديمقراطياتها مثلاً 200 أو 300 سنة فالديمقراطية وليدة تتعثر، وهناك انفعالات ومشادات ومماحكات، لكن ينبغي أن تحفزنا على الاستمرار والمضي قدماً على سلم الصعود.

المقدم: يعتقد البعض أن الشراكة سرعان ما ستتصادم، وتتقاطع مع المصالح بسبب عدم وجود معارضة؟

الجعفري: أنا لا أفهم المشاركة نزولاً فوقياً على الناس، بل هي عملية ارتقاء، ودفع من القاعدة الشعبية، وشعبنا لو كان طائفياً مع بعضه لانعكس على الحكومة، بل العكس بعض الشخصيات والرموز جنحت إلى الطائفية والشعب خنقها.

أتصور أن الشعب يريد المشاركة الوطنية؛ لذا ضغط على القوائم أن تعمل باتجاه واحد، وعندما ترسو، وتتوطد قاعدة النظام الديمقراطي في العراق، ونخطو أشواطاً جديدة.

نحن الآن ارتحلنا من المعارضة التي نفهمها على أنها حمل سلاح وخصومة، وحالة الارتحال هذه تحتاج إلى وقت وثقافة، لكني أقلق حين أرى أن القوى السياسية لم تشارك في الحكومة؛ لأنها لا تهضم فكرة أن تصبر أربع سنوات، وتمارس دورها في البرلمان من دون أن تكون موجودة في الحكومة، فعلينا أن لا نبدأ بحكومة الأغلبية.

لنـُصِرَّ على أن تكون حكومة مشاركة، وكما تقول الحكمة: إذا لم تكن إلا الأسنة مركب فما حيلة المضطر إلا ركوبها.
أنا أعتبر المشاركة الوطنية إنجازاً وطنياً، ومسؤولية وطنية في الوقت نفسه.